



في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام مسلم في كتاب الإمارة (خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم و يصلون عليكم و تصلون عليهم و شرار أئمتكم الذين تبغضونهم و يبغضونكم و تلعنونهم و يلعنونكم..).

في معادلة واقع الأمة اليوم أمر جلل بحاجة إلى إصلاح أو استدراك أو تقويم. سواد الأمة من عامة أبنائها أو ما يسمى بلغة العصر (جمهورها) ليس جاحداً، ولا متسخطاً، ولا ناكراً لمعروف، ولا عاجزاً عن إدراك التحديات (المعطيات والمقتضيات والاستحقاقات)؛ ولكنه في الوقت نفسه، ينظر إلى مقعد الرشد في سياسة أمره فيراها فارغاً، ويرى ثلاثة من العاجزين، والوصف بالعجز نوع من الاعتذار للمتأسين به، قد أحاطت بقراره وبمسيره في كل مكان فأغلقت في وجهه الآفاق، وسدت عليه المنفذ، وزادت طين معاناته بلة، وضفت إبالة؛ فيذهب في مناخ شتى من الاحتجاج أو الإنكار أو الادعاء أو حتى اللعن والدعاء، أو حتى التطرف والغي والتدععش...

ليس مستحيلاً فيما نقدر وإن يكن صعباً، كسر دائرة الشر التي تملك على الأمة أمرها، فتقصي خياراتها، وتتوسد أمرها إلى غير أهله، فتغيب عن هؤلاء أهلية الأمانة أحياناً، وأهلية القوة والكفاءة أخرى، أو كليهما في وقت واحد فيكون من يتتوسد أو يتسيد عاجزاً وفاجراً معاً..

إن الاستدراك على معادلة (الاعوجاج العام) بالتقويم والتسييد والإصلاح، وفق سنن الله الماضية في الخلق، وسيبرورة التاريخ وصيرورته؛ كل ذلك يقوم أصلاً على حقيقة بأن الباطل مهما رغا وأزيد ذاهب جفاء وأن ما ينفع الناس هو الذي يبقى في الأرض، فأولى بمن أرادبقاء أن يكون صالحاً مصلحاً، معملاً للسنن، نازلاً على حكمها، مستثمراً فيها لا متحدياً للناصحين بالرشد، معرضاً عن استحقاقات الإصلاح ودعاعيه وأسبابه ومدخلاته...

إن الحديث عن مقعد (الرجل الرشيد) في واقع أمم المسلمين اليوم يبدأ من قناعة الرجل (الإنسان) بنفسه في نفسه. فهل

هناك في القائمين على أمر المسلمين اليوم في أي قطر من أقطارهم، وفي أي إطار من أططهم، من ينظر إلى نفسه بحق ومسؤولية على أنه (رجل الأمة)، وليس رجل السلطة، رجل اللحظة بكل استحقاقاتها، الكفاء لكل تحدياتها يشهدها بغير تردد أو تلعثم: أنا لها... أنا لها ؛ وليس رجل الغمرة أصاب قصعة من عسل فطمع أن يزداد منها لعقة!!!

ومن قبل قال الرشيد للسحابة: أمطري حيث شئت، ورد المعتصم على نداء امرأة سبية في زبطة: (لبيك يا أختاه)، بينما قال المستعصم وجاريته ترقص بين يديه وهو لا يزال على أسوار بغداد: (إن التتار لن يدخلوا عليَّ بملك بغداد)، وكان الثلاثة من بنى العباس؛ فلينظر رجل أين يضع نفسه....

وخاف الفاروق الله أن يسأله عن دابة تعثر على شاطئ الفرات، ويقول لو أن دابة عثرت على شاطئ الفرات لخشيت.... فكم من مستغيث اليوم على شاطئ الفرات أعلاه وأسفله ولا من مستجيب....

إن التحدي الأول على أجندة رجل الأمة الرشيد أن لا تكون ذاته جزء من مشروعه. وكل الذي عانت منه الأمة خلال قرن مضى هو بلازها بقيادة على أكثر من صعيد جعلوا ذواتهم عنوان مشروعهم وصلبه. فظل الحفاظ على الموقع هو الأهم، وتقريب الأتباع والحماية هو الأصل. فدار كل شيء حول شخص الحاكم كما دار عابد الوثن بوثن، رأه الأول والآخر، وهو لا يعدو مراح دابة حول حجر الراحي..

والتحدي الثاني على أجندة رجل الأمة الرشيد، هو أن يكون الرجل قادرًا على أن ينضم هو إلى هذه الأمة أو أن يضمها إليه، بلا نبذ ولا إقصاء ولا تمييز. أن يكون قابلاً للبحث عن شركاء وليس عن أتباع. الرجل الرشيد في العصر الذي نعيش هو الذي يدرك بما يملك من رشد: أن زمان الفرد قد ولى. وأن عصر الأمة قد استحكمت حلقاته فما منه من محيس..

وأما التحدي الثالث (فرؤية جامعة) ما أمكن الجمع، رؤية تمح من معين الحق، وتنظر بنوره، وتنغمس في العصر، وتستشرف آفاق المستقبل، وتنتمي بكل المعاني إلى إنسانية الإنسان...
أمام واقع محبط بكل ما فيه تتلاشى خير أمة أخرجت للناس، وتتلاشى بين يديها كل قلاع الصمود، ومحضون المقاومة فيها.
 يحدث كل ذلك بين فجور الفاجرين وعجز العاجزين...

مركز الشرق العربي

المصادر: